تأثير السرد العربي القديم في الآداب العالمية :

أثر كتاب كليلة و دمنة في الآداب العالمية و يظهر ذلك من خلال:

-نظمه من قبل أبي جعفر الرودكي، وهو أول شاعر فارسي عظيم نظم كليلة ودمنة شعرا فارسيا ، وكان شعراء عصره يشهدون له بت قدم إليهم فيقولون فيه إنه لا نظير له بين العرب؛ والعرب والعجم .

- والشاعر الظريف لافونتين الفرنسي ، قد تأثر إلى حد بعيد في طائفة كبيرة من حكاياته الشعرية بكتاب كليلة ودمنة، وقد أشار إلى هذا التأثر الأدبي كثير من أدباء الغرب الذين درسوا لافونتين دراسة نقدية عميقة ." وانتهى ذلك الميراث في هذا الجنس الأدبي إلى لافونتين الفرنسي (1221 1695) فتأثر به وحاكاه وأخذ كثير من موضوعاته عن سابقيه وبخاصة من اليونانيين واللاتينيين ولكنه بلغ بهذا الجنس الأدبي قسم قدر له من كمال فني الأسس الفنية العامة .... وبرع فيه حتى صار مثالا لمن حاكوه في الآداب جميعا " [1].

-ويثني الأستاذ جب على كليلة ودمنة ثناء طيبا مبينا أثره في الأدب الغربي حتى في زمن الأحياء، فهناك آثار لاتينية كثيرة وتراجم إنجليزيه متعددة استمدت من هذا الكتاب . هم و شعراؤهم و قصاصوهم ، و في مقدمتهم ماسنجر الإنجليزي و لافونتين الفرنسي.[2]

وعن أثر كليلة ودمنة في الأدب العربي والآداب العالمية تقول الدكتورة نفوسة في كتابها؛ "خرافات لافونتين في الأدب العربي" أن المسلمين لم يجدوا فيه ما يصدم شعورهم الديني إذ عرفوا كلام الطير مع سليمان في القرآن الكريم ، ومن ثم تقبله العرب تقبلا حسنا، ثم لم تقف شهرته عند العرب وحدهم بل امتدت شرقا وغربا حتى صار بعد ضياع الأصل الهندي والترجمة الفارسية هو الأصل الذي ترجمت عنه لغات العالم، بل إن الفرس أنفسهم قد ترجموا هذا الأصل العربي إلى لغتهم عدة مرات ، ومنها ترجمة حسين واعظ كاشي المعروفة أبأنوار سهيلي التي تمت في القرن الخامس عشر الميلادي والتي ترجمها بدوره إلى الفرنسية شاهد الأصفهاني بعنوان كتاب الأنوار أو أخلاق الملوك سنة

---

[1] **محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، دار العودة، بيروت ، 1983، ص 189.**

[2] **-الفن القصصي عند العرب ، ص50/49.**

1044 في عصر لافونتين الذي يكون من الممكن أن يكون قد اطلع عليها وتأثر بها، وبخاصة أنه في مقدمة المجموعة الثانية من خرافاته يقر بمعرفته بيدبا الحكيم الهندي المذكور في كل حكاية من حكايات ذلك الكتاب ، و باتخاذه مصدرا وخرافاته .

ومن ناحية التأثير دائما فد أشارت الدراسات إلى تأثير قصة حي بن يقظان في الكثير من الآداب ؛ فقد أثرت في الكاتب الاسباني بلاتزار في قصته النقادة ، وفي أعمال الأدبية ذات مستوى عالمي مثل روبنسون كروزو لدانيال ديفو ، ولعل غوته كان أول من بحث علاقة القصتين فالتشابه كبير في الأحداث . و هناك عمل آخر هو عائلة روبنسون السويسرية التي كتبها جون ديفيديوس .كما انتقل هذا التأثير لقصص الأطفال، و السينما ، وهناك سلسلة من الأفلام المعروفة بطرزان، وكذلك ماوكلي....و يؤكد غنيمي هلال على ذلك بقوله ،" أما في الآداب الأوروبية فقد ترجمت رسالة حي بن يقظان لابن طفيل إلى العبرية عام 1341 ثم إلى اللاتينية ترجمها إليها بوكوك بعنوان الفيلسوف المعلم نفسه، ومن اللاتينية ترجمت القصة إلى الإنجليزية ترجمها جورج كيث... هذا من جهة الترجمة .أما من جهة التأثير فإن قصة حي بن يقظان قد أثرت أولا في الكاتب الإسباني بلتاسار جراثيان .... كان في قصته التي عنوانها النقادة ظهر الجزء الأول منها عام 1251 والجزء الثاني عام 1653 والجزء الثالث عام 1657..." [3].

و قد وافق فكر قصة حي بن يقظان الفكر الذي ذاع و انتشر في أوروبا إبان القرن الثامن عشر ،فقد "كان يعتقد في مقدرة الإنسان الفطري على الاهتداء إلى الفضائل و إلى الأسس السامية التي تفضل الشرائع الإنسانية(...)وإذن كان تأثير قصة ابن طفيل في الآداب الأوروبية تأثيرا كبيرا متنوع الدلالة " [4].

---

[3]- **محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، ص 238 /239.**

[4]-**المرجع نفسه ، ص 241.**

و يلخص لنا يوسف زيدان تأثير حي بن يقظان لابن طفيل في الأدب و الثقافة بقوله :" لم يحفظ لنا الزمان من مؤلفات ابن طفيل إلا أثر وحيد ، هو حي ابن يقظان تلك الرواية الفلسفية الصوفية البديعة التي كان لها حضورها الكبير في الأدب والفن ، وهو الحضور الذي تتبعه بدأب شديد –فاروق سعد في معرض التمهيد لنشره المحققة من الرواية :حيث استعرض أثرها في الثقافة الإسلامية عند السهروردي، وعبد الرحمن جامي ، وفي الثقافة وفي الثقافة الغربية عبر ترجمتها الكثيرة إلى اللغات الأوروبية، ومن ثم تجلياتها لدى جماعة الكوبكارز ، وفي قصة النقادة لجارسيان ، وروبنسون كروزو لدانيال ديفو ، و كتاب الأدغال لكبلنج ، وطرزان لأدغار بوروز ، وغير ذلك من الأعمال الأدبيه والفنية ، وقد توقف كثيرون من نقاد الأدب عند الأثر المباشر ابن طفيل في رواية دنيال ديكو الشهيرة روبنسون كروزو ، ويكاد الكل يجمع على أن دانيال ديغو قد استقى روايته مباشره عن ابن طفيل. أو في الدراسات التي عالجت هذه النقطة ، هي الرسالة الجامعية التي أنجزها حسن محمود عباس ، ونشرها بعنوان حي بن يقظان وروبنسون كروزو دراسة مقارنة" [5].

و لم يكن تأثير قصة حي بن يقظان على الآداب الأوربية فقط فقد " حاكى رسالة ابن سينا السابقة في العبرية شعرا ابن عزر المتوفى عام 1174 كما ترجمها إلى العربية وشرحها ابن زيلا تلميذ ابن سينا ونشره هذه الترجمة والشرح في برلين عام 1886.ويتصل بقصة حي بن يقظان قصة أخرى فلسفية صوفية عنوانها سلامان وأبسال قد يكون لها أصل يوناني ترجمها عنه... 231

كما تعدى تأثير القصة إلى الأدب الفارسي"وقد أصبحت شخصيه أبسال وشخصية سلامان من النماذج الفلسفية الصوفية في الأدب الفارسي بتأثير ابن سينا وابن طفيل علي فلعبد الرحمن جاني المتوفى عام 1942 قصه شعرية فارسيه عنوانها سلامان وأبسال وفيها ....ولم يتأثر عبد الرحمن جامي بسلامان وأبسال، كما كانتا عند ابن سينا بل بالقصة كما ترجمها حنين ابن إسحاق ،ولكنه تأثر

[5]-**حي بن يقظان، تحقيق يوسف زيدان ، ص 74.**

بابن سينا وابن طفيل معا من حيث الإفادة الصوفية الفلسفية من القصة، وان كان قد أفاد منها على وجه آخر " [6].

و يمكن الحديث عن تأثير كتاب ألف ليلة و ليلة في الادب الأوروبي فقد رحلت شهرزاد إلى الغرب في القرن الثامن عشر ، وكان إن وجدت ترجمتين :إحداهما في فرنسا لأنطوان جالان سنه 1047 . و الأخرى عرفت باسم غريب ستريت في إنجلترا سنة 1706.

وكانت أوروبا قد عرفتها قبل ذلك بقرون من خلال النقل الشفوي ، ومن المعروف أن أوروبا اطلعت على آداب الشرق منذ الحروب الصليبية ، وكانت الترجمة ألفرنسية أشهر الترجمات ، وقد كانت على يد أنطوان جالان وهو الذي ساهم بقسط كبير في شهرتها ومعرفة العالم بأسره بها، وجاءت ترجمة الكتاب في 12 مجلد، و تنافست عليها الدور النشر الفرنسية .

لقد كان جالان مترجما بارعا ، ترجمها بأسلوب جميل، وقد ظهرت نسخته في وقت كان القراء الفرنسيون قد سئموا من الأدب ألفرنسي ، فلما اطلعوا على الترجمة ألهبت خيالهم .كان القرن الثامن عشر عصرا شهرزاد وقد كانت السبب الرئيسي وراء أفول الكلاسيكية وظهور الرومانسية كتيار جديد، وكان أن حولت شهرزاد إلى مدام دي بومبادور ، فأصبحت امرأة جد مثيرة تحولت من امرأة عاقلة استطاعت إن تروض شهريار إلى امرأة نهمة.

من الجدير بالذكر القول بأن أنطوان جالان لم يكن أمينا في ترجمته نص الليالي ، وربما يعود ذلك لأسباب كثيرة منها :

-كان يكتب من نص شفوي ؛ أي إنه لم يترجم من نص مكتوب، فقد كان يخرج للبوادي أثناء إقامته بمصر، ويستمع إلى روايات الكتاب .

-كان مشبعا بالروح الكلاسيكية على الرغم من التحريف والتشويه إلا إن ترجمته كانت رائعة لأنه كان أديبا وقدمها في أسلوب قصصي بارع وقد ساعده على شهرة ترجمته السؤم الذي انتاب

---

[6]- **محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ص237.**

القراء ، حيث ملوا من الأدب الكلاسيكي، فلما اطلعوا على شهرزاد ألهبت خيالهم، فوافقت أمزجتهم.

ما يدل على أن جالان كان مترجما واع:

-اختزال الكثير من المشاهد المكررة.

-حذف عبارات مثلا تجنب وصف المرأة بإسهاب، وقد اعتمد هذا الأسلوب لأن الليالي وضعت لجماهير بسيطة تحتاج إلى الشرح والتفصيل.

- كان يترجم وهو يعلم أن النص الجديد إنما يترجم ليكون مقروءا ، فهو موجه لمتلقي، وهذا المتلقي لا يحتاج لعبارات مكررة.

-أهمل جالان ترجمة الأشعار لأنه رآها مقحمة على الكتاب.

-تخلى جالان على العبارات التي تذكر دنيا زاد في كل ليلة ،فقد لاحظ إن تدخلها سيزعج القارئ.

10- ما قاله الأدباء عن شهرزاد:

1-فولتير: " لم أصبح قاصا إلا بعد إن قرأت ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة.

2-ستاندال:" أتمنى إن يصاب بفقدان الذاكرة حتى استمتع بقراءة الليالي كما استمتعت بقراءتها أول مره". وتأثر أيضا بها: لمارتين، و هيغو ، وراسين ، و مونتسكيو ، و توماس مور.و يؤكد غنيمي هلال على الكلام السابق بقوله " وعظم تأثيرها بخاصة في أواخر القرن الثامن عشر ثم طوال العصر الرومانتيكي، وقد حملت ليله وليله كثيرا من قضايا الرومانتيكية منها الهرب من واقع الحياة في عالم الخيال طيب سحري ومنها السخرية بالملوك ، ومنها ترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء إلى الحقائق الكبرى إذ أن شهرزاد قد هدت الملك إلى إنسانيته، وردته عن غريزته الوحشية لا بواسطة المنطق بل بالعاطفة فصارت رمزا للحقيقة التي يعرفها المرء عن طريق هذا الشعور ، وبهذا المعنى انتقلت شهرزاد إلينا في أدبنا المعاصر بفضل تأثير الأدب الأوروبية ، وذلك كما في مسرحية شهرزاد للأستاذ توفيق الحكيم ، وكما في قصة شهرزاد التي عنوانها القصر المسحور للأستاذين توفيق الحكيم

وطه حسين ، ومثل مسرحية شهريار الأستاذ عزيز أباظة ، ومسرحية شهرزاد للأستاذ علي احمد باكثير " [7].

و أما عن تأثير رسالة الغفران في الأعمال الأدبية فقد ذهب الدارسون مذاهب شتى في هذا الموضوع ؛فقد رأى محمد غنيمي هلال أن الشبه بين رسالة الغفران والكوميديا الإلهية لدانتي لا يرتبط بتأثير الأول على الثاني يقول :" لا شك أن رسالة الغفران تشبه الكوميديا الإلهية لدانتي في نوع الرحلة وأقسامها ، وكثير من مواقفها .وقد دفع هذا التشابه بعض الباحثين إلى القول بأن أبا العلاء، وهذا خطأ إذ لا يوجد أي دليل على اطلاع دانني على رسالة أبي العلاء .و قد سبق أن بينا ء أن مصدر دانتي العربي الإسلامي كما كشفت عنه البحوث الحديثة ولا مجال الآن لخلق آراء أخرى لا تستقيم مع البحث العلمي. و أمام هذا التشابه بين رسالة أبي العلاء و كوميديا دانته فقد يكون راجعا إلى أنهما أفاد من حكاية الإسراء والمعراج، وفي هذه الحالة يكون لأبي العلاء فضل الإفادة أدبيا من التراث الإسلامي قبل دانتي " [8].

أما جورج زيدان فيرجع إفادة الكثير من الأعمال الأدبية العالمية من رسالة الغفران يقول " فتخيل رجلا صعد إلى السماء ، و ما شاهده هناك كما فعل دانتي في شاعر ايطاليا في الكوميديا الإلهية ، وما فعل ميلتون الانجليزي في الفردوس المفقود ، لكن أبا العلاء سبقهما بضعة قرون ،لأن دانتي توفي نحو سنة 720م، وميلتون نحو 1084م ، وتوفي أبو العلاء سنة 449 هـ ، فلا بدع إذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه .وأقدمهما دانتي لم يظهر إلا بعد احتكاك الإفرنج بالمسلمين. والايطاليون أسبق الإفرنج إلى ذلك "[9].

---

[7]- **محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، صفحة 123**

[8]- **المرجع نفسه ،ص 230.**

[9]. **جورجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ،ج2،ص 462.**

و أما عن تأثير المقامات العربية في غيرها من الآداب فقد أثبته الدارسون ، فقد أثرت في الأدب الفارسي" ففي مقامات حميد الدين الفارسي للقاضي حميد الدين البلخي عمرو بن محمود المتوفى عام 559 يسير مؤلفها على نهج بديع الزمان والحريري.كما يعترف في مقدمة مقاماته الفارسية على الرغم من أن مقاماته تختلف عن المقامات العربية من وجوه :فشخصية المؤلف تحتل المكانة الأولى المباشرة فيها ، فليس فيها راوي معين ، وإنما يروي المؤلف أحداثه عن كبير من أصدقائه لا يذكر أسمائهم " [10].

كما أثرت المقامات العربية في الآداب الأوروبية تأثيرا كبيرا و بخاصة في الأدب الإسباني " ، فقد غزت هذه المقامات قصص الشطار الاسبانية بنواحي الفنية وعناصرها ذات الطابع الواقعي .ثم انتقل التأثير من الأدب الإسباني إلى سواه من الآداب الأوروبية، فساعد على موت قصص الرعاة ، وعلى تقريب القصة من واقع الحياة ثم على ميلاد قصص العادات والتقاليد في معناها الحديث ، وهي التي تطورت فكانت هي قصص القضايا الاجتماعية في ما بعد" [11].

و قد وجد غنيمي هلال أدلة تاريخية على هذا التأثير ، يقول"" ويوجد وجوه شبه قوية بين قصص الشطار السابقة الذكر، وبين المقامات العربية كما نعلمها عند بديع الزمان الهمذاني ثم الحريري ، ولما تبحث هذه المسألة بحثا مقارنا نجد الأدلة التاريخية تقطع بأن مقامات الحريري عرفت في الأدب العربي في إسبانيا.ومن كتاب العربي الاسبانيين من ألفوا مقامات على غرارها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي مثل ابن القصير الفقيه ، ومثل أبو طاهر محمد ابن يوسف السرقسطي ، و قد شرح مقامات الحريري كذلك كثير من العرب الاسبانيين من أشهرهم عقيل بن عطية ثم أبو العباس أحمد الشريشي..." .

و لم يكن تأثير المقامات مقتصرا على الأدب الأوروبي فقد أثرت أيضا في الأدب العبري فقد "ترجمها سالمون ابن زقبيل في القرن الثاني عشر الميلادي ثم ترجمها الخريزي ، و ظهرت ترجمة عام

---

[10]- **محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن ، 228/ 227.**

[11]- **المرجع نفسه ،ص228.**

1205 وقد كانت هذه المقامات رائجة كل الرواج لا بين العرب فحسب بل بين العبريين والمسيحيين أيضا".